

قمة الرباط في المنظور الغربي

ادريس الخالدي

اعتادت وسائل الاعلام الغربي على تناول الصراع العربي - الاسرائيلي بأكبر قدر من الجهل وتشويه مدروس . وفيما عدا استثناءات قليلة ، فان تغطية هذه الوسائط لاحداث العالم العربي تأثرت بقوة لضغط صهيوني كبير ، كما تأثرت بعداء الغرب الطبيعي للحركات المعادية للامبريالية والاستعمار على شتى أنواعها، ولقد انطبق هذا الموقف بصورة خاصة على قضية فلسطين . فبعد سنوات طوال ، عكست صحف ومجلات أوروبا والولايات المتحدة بصورة قوية الاساطير الصهيونية عن «لا وجود» الشعب الفلسطيني ، فلقد كان نفي وجود الهوية الفلسطينية لازمة ضرورية للدعم الغربي للدولة اليهودية . ذلك ان هذا الدعم جرت فلسفته وجرى تبريره على الدوام من خلال مقولة حق اليهود بتقرير المصير ، وعلى هذا فان اي اعتراف او تسليم بوجود شعب فلسطيني ، كان سيقود الى تناقض صارخ .

وعلى مدار اكثر من ربع قرن من الزمان ، لم تكن فلسطين تعني بالنسبة لمعظم الغربيين ، سوى انها المنطقة الجغرافية التي أسس فيها اليهود دولتهم . انما مؤخراً ، وعلى الاخص منذ أكتوبر ١٩٧٣ ، بدأ هذا المفهوم بالتغيير . وتعود جذور هذا التغيير الى مذابح ايلول الاسود ، والعمليات الفدائية التي سبقت ولحقت تلك المذابح . لقد كانت ردود الفعل الاولية على هذا العنف الموجه للفلسطينيين سلبيا الى حد كبير ، فيما عدا موقف قطاعات شعبية قليلة العدد والشأن ، معادية للصهيونية والامبريالية . ومع ذلك فان البذرة زرعت ، وأوجدت أساسا لاعتراف عميق بالهوية الفلسطينية في وقت لاحق . وهكذا يمكن تسجيل بدء الاعتراف بالهوية الفلسطينية الذي كان الى حد كبير استجابة لتغير الظروف الموضوعية السياسية والاقتصادية . ان مدى هذا الاعتراف ، وكذلك حدوده ، يتجسدان بوضوح في ردود فعل وسائل الاعلام الغربية على قمة الرباط التاريخية .

في الانجليزية مثل معروف يقول « لا شيء مثل النجاح » . ان هذا ليس مسلمة بدهية، اذ انه يعكس الحقيقة الموضوعية القائلة ان التقدم يستولد اندفاعه الذاتي ، كما يعكس كذلك ، الميل الغربي اللافئ للنظر للارتباط بما هو « فائز » .

لقد شهدت السنوات الاخيرة سلسلة متتابعة من الانتصارات السياسية والدبلوماسية البارزة التي حققها الشعب الفلسطيني على الصعيد الدولي . بدأ ذلك بالقمة العربية في الجزائر التي أعلنت غداة حرب أكتوبر ، اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وكانت ذروة تلك الانتصارات ، دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة لمنظمة التحرير الفلسطينية . ولقد وجدت الصحافة الغربية نفسها مضطرة (وحيانا ميالة) لاعطاء قدر متزايد باستمرار من الاعتراف بالهوية الفلسطينية ، واعترافها تدريجيا بحق الفلسطينيين بتقرير المصير .